ِ

المؤتمر العالمي الأول
(العمارة والفنون الإسلامية، الحاضر والماضي والمستقبل)
الفترة ما بين 27 أكتوبر – 2 نوفمبر 2007 م.
القاهرة - مصر

بحث بعنوان
الحمامات القديمة ... نماذج من لبنان

د. حنان قرقوتي
أستاذ مساعد
كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية
بيروت – لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرف الحضارة الإسلامية بذخائرها المتعددة في كافة المجالات، وتعرف بذروة سنامها من عمائرها المنتشرة في طول البلاد وعرضها، وأبرز ما يميزها مساجدها ومآذنها التي تمثِّل تجسيداً للركن الثاني من أركان الإسلام وهو الصلاة.

وامتثالاً لِما أمر به الدين الحنيف من شروط لأداء الصلاة كان لا بد من الطهارة، فانتشرت الحمامات العامة، أي التي فُتحت لجميع الناس، بالقرب من المساجد، في معظم المدن الإسلامية، ومن هذه المدن بعض المدن اللبنانية الساحلية كبيروت، وصيدا، وطرابلس، وبعض مدن جبل لبنان التاريخية كدير القمر، وبيت الدين، وبعض مدن البقاع كمدينة عنجر التاريخية.

إلا أن كثيراً من هذه الحمامات اندثر (لنشوء الحمامات داخل المنازل) ولم يبق منه أثر كحمامات بيروت، ولم يبق من مدن الساحل التي لا تزال تحوي بعضاً من هذه الحمامات إلا مدينتا طرابلس وصيدا، وبعض هذه الحمامات لا يزال يعمل حتى الآن.

أما الحمامات التي لا تزال موجودة في جبل لبنان فكان بعضها مخصصاً للعائلات الحاكمة أو الأمراء، وتوجد في دور الإمارة، كما في دير القمر مقر الإمارة المعنية، وفي بيت الدين مقر الإمارة الشهابية، وقد توقف العمل بها منذ وقت طويل.

ومن هذه الحمامات ما أصبح أطلالاً، كالحمام الموجود في بلدة عبيه الشوفية بالقرب من مسجدها، وكذلك حمامات عنجر البقاعية التي بنيت في العصر الأموي، في مكان ليس ببعيد عن مسجد المدينة التي شملها الخراب وأمست أطلالاً.

وقد بُنيت الحمامات العربية على الطراز الذي لا يزال سائداً حتى اليوم، وتتألف من ثلاثة أقسام رئيسة هي:

1- الغرفة الباردة: تسمى غرفة المَشْلَح أو البرّاني (الخارجي)، وهي عبارة عن فناء واسع الأرجاء، مغطى بقبة بها فتحات زجاجية، وتتوسطه بركة ماء (فسقية)، وحولها مصاطب من الحجر المغطى بالرخام عادة، وتزيّن الفناء البُسُط العربية الملونة والسجاد، التي يجلس عليها المغتسلون بعد الاغتسال، وقبله لانتظار دورهم، ويلحق بالمشلح مكان مرتفع من الأرض لصاحب الحمام يمكّنه من مراقبة الحركة ويشرف على طلبات الزبائن.

2- الغرفة الفاترة: تستعمل للتدليك والاسترخاء. وهي مُدَفّأة ويفصلها عن الغرفة الباردة رواق صغير، وبها مصاطب يجلس عليها المستحمون لكي يتقبل جسدهم برودة الجو تدريجاً قبل عودتهم إلى الغرفة الباردة وبعد خروجهم من بيت الحرارة.

3- الغرفة الحامية (بيت الحرارة): هي القسم الرئيس في الحمام، ويتوسطها بركة ماء مكسية بالرخام عادة، وعلى جنباتها غرف صغيرة تسمى خَلَوات، فيها أجْران (مغاطس) مملؤة بالماء الساخن، ويتخلل هذا القسم فتحة في وسط الجدار تسمى "فتحة المستوقد" يخرج منها البخار الحار مباشرة إلى غرفة الحرارة[1].

[1] للمستوقد طاقة خلفية من خارج الحمام تعرف بـ "طاقة الوَقّاد" (التَّنور)، يجلس الوقّاد بجانبها، ويلقي فيها ما أعده له الزَّبال، مما جُفِّفَ من الزِّبل والقُمامة، وذلك لتسخين ماء الحمام، وفوق ذلك التنور حَلَّة من نحاس أو حديد، ضمن خزانة كبيرة مملوءة بالماء، كلما نزحت يجري منها الماء الحار ضمن قساطل فخارية لداخل الحمام. ولذلك التنور سرداب من داخل القمِّيم (المكان الذي يجلس فيها الوقّاد لوقد النار)، كلما امتلأ ذلك التنور من صفوة الوقيد المعروفة في بلاد الشام بـ "القصرمل" ينزل ذلك الوقاد من السرداب المار الذكر، ويسحب بواسطة مجرفة من حديد ما تَجَمَّع من القصرمل داخل

والمستوقد عبارة عن فرن يوقد فيه الوقود لتسخين المياه وإخراج بخارها إلى الغرفة الحامية من خلال فتحة المستوقد، وتصل المياه الساخنة من المستوقد إلى أماكن الاستحمام في قساطل فخارية[2]، أما الدخان الناتج عن عملية الحريق فيُسحب إلى الخارج[3].

وكانت الحمامات العامة تُبنى من قبل الأعيان والأثرياء والأمراء والحكام، وكانت تقام قريبة من المساجد، والحمامات الخاصة كانت تقام في أطراف القصور.

وقد روعي في الأحكام الفقهية تنظيم مواقع الحمامات وأبنيتها في المدن، كتنظيم حق الجوار الناشئ عن تلاصق الحدود وتجاورها، بحيث لا تُلحق بالجوار ضرراً، كملاصقة قمّيم الحمام للأبنية المجاورة الأخرى، لذلك تشهد عادة الساحات الخالية من البناء نار "قمّيم" الحمامات[4].

كذلك نظمت سلطات المدن طبيعة بناء الحمامات كما في مدينة صيدا الساحلية مثلاً، حيث اشترطت السلطة العثمانية في المدينة أن تكون جميع جدران الحمامات من الحجر بما في ذلك المخازن الخاصة بها، وأن تكون الأبواب والدرفات والدروندات مغشاة بالحديد[5]، وكذلك تزويد الحمامات بمصادر المياه، وحُرص في تصميم الحمامات على طهارة مياهها ضمن أحواض مائية وقنوات تكفل ذلك، إضافة إلى قنوات الصرف الصحي بحيث تكون مصارف المياه واسعة مستقلة ليؤمن عليها من الاختناق، وأن يكون قمّيمها واسعاً ليمكن إدخال الكثير من الوقود إليها[6].

وكانت الرقابة دائمة على الحمامات بواسطة محتسب المدينة ومن ذلك: الرقابة على شؤون النظافة فيها، والحرص على دلك أرضيتها جيداً بالماء والصابون توخياً من الانزلاق. وفتحها في السَّحر قبل صلاة الفجر ليتمكن المصلون من الطهارة قبل دخول المساجد. وعدم كشف العورات والمحافظة على الستر اثناء الاستحمام. وعدم قراءة القرآن جهراً داخل الحمامات، وما إلى ذلك[7].

التنور، ثم يستأنف إلقاء الوقيد - محمد سعيد القاسمي وآخرون، قاموس الصناعات الشامية، ج2، ص 496، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق – سوريا، 1988م..

[2] يتم صنع القساطل من التراب الأحمر، ويعجن بماء كاف، ويخمر، ثم يُعرك، ويُعمل منه أنواع القساطل، بواسطة قالب مخصوص مجوف، وتُجفف في الشمس، ثم تشوى بفرن مخصوص، وهي أنواع في الكبر والصغر، ويتم تركيبها بإدخال قسطلٍ في قسطل، حيث يكون رأس القسطل ضيقاً، ومن جانبه الثاني مفتوحاً، فينزل به رأس القسطل الثاني، وتمد القساطل موصولة في بعضها حسب الطلب، ويلحم عليها بقطع من اللاقونة، وهي ما عُملت من مدقوق القطن وقليل الكلس مع الزيت الخالص، وتدق في بعضها، وتلحم بها تلك الوصلات، فتضبطها، وتمنعها من التنفس رأساً، ويبنى بجانبي القسطل أيضاً بالآجر والمونة، حتى إذا علا البناء على جانبي القسطل يُقَبَّى عليه بالآجر، فيكون القسطل محفوظاً ضمن ذلك البناء، ويسحب حتى يبلغ الحوض المسحوب إليه ذلك الماء - محمد سعيد القاسمي وآخرون، قاموس الصناعات الشامية، ج2، ص 351 و365.

[3] زيارات ميدانية مختلفة إلى حمامات صيدا الأثرية - وانظر مؤسسة الحريري، تاريخ صيدا القديمة، دراسة غير منشورة، ص 29، ل. ت..

[4] محمد حسن حلمي الرواس، تاريخ صيدا العثمانية (1840 – 1888م.)، صناعات وحرف – تجارة – زراعة، ص13، دار الرشاد الإسلامية، بيروت - لبنان، 1424هـ..

[5] محمد حسن حلمي الرواس، تاريخ صيدا العثمانية (1840 – 1888م.)، ص 13.

[6] محمد حسن حلمي الرواس، المرجع السابق، ص 14.

[7] د. حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 94، دار النهضة العربية، ط2، بيروت – لبنان، 1419/ 1999م.- ولمزيد من التفصيل انظر كتب الحسبة.

وكثيراً ما وُقفت الحمامات على المساجد أو غيرها من أعمال البر بما في ذلك محتوياتها، من مناشف على اختلاف أنواعها، وطاسات نحاسية، وقدور، ومخدات، وطراريح وبسط، وأحياناً أدوات التنظيف، من مقشات وما شابه، ليظهر حرص الواقفين على تعداد الأشياء المنوي وقفها[8].

ويحتاج الحمام لتزيينه لمرآة ومشط لتسريح شعر الرأس واللحية في كل إيوان من أواوينه في بهو الحمام (البراني أو غرفة المشلح)، ووضع ثريات وقناديل فوق بركته[9].

وتستعمل الحمامات لاستحمام الرجال والنساء، كلٌّ في أوقات مخصوصة، وكثيراً ما تفتح للرجال في السحر وبعد الشروق بقليل، وفي ساعات النهار للنساء، ومنها ما كان يفتح في أيام للرجال، وفي أيام للنساء والأطفال، وكثيراً ما كانت تمضي العائلات إلى الحمام، خاصة في مناسبات الأعراس، أو في الخلاص من نِفاس أو ما شابه، وتأخذ معها الطعام والشراب لتمضية طيلة اليوم في الحمام، وكثيراً ما كانت الأمهات اللواتي يُردن الخِطبة لأبنائهن يخترن العرائس من الصبايا اللواتي يترددن إلى الحمام بصحبة أمهاتهن.

أما طاقم العاملين في الحمام في الأوقات المخصصة الرجال فهو على الشكل التالي: المعلم، الناطور، التَّبع، البلّان (المُصَوْبن)، الأجير، القهوجي، القمّيمي: قيّم قميم الحمام.

ويتألف طاقم العاملات في الحمام في الأوقات المخصصة للنساء من: المعلمة، الأسطة، زقّاقة (ناقلة) الماء البارد، البلّانة، الناطورة[10].

هذا، وعَمِل القائمون على الحمامات في المدن الإسلامية على إنشاء مشيخة، أي ما يسمى اليوم نقابة، بينهم وبين غيرهم من أصحاب المهن، ويسمى رئيس المهنة شيخ منصب، وكان يعيَّن من قبل الحاكم الشرعي في المدينة كما في طرابلس الشام على سبيل المثال[11].

حمامات المدن الساحلية:

أبرز المدن الساحلية اللبنانية هي العاصمة بيروت، وطرابلس، وصيدا، وصور.

أ-حمامات بيروت:

انتشرت الحمامات العامة في بيروت شأن المدن الإسلامية الأخرى وظل العمل بها قائماً حتى قرابة نهاية عهد الانتداب الفرنسي عام 1943م.، وخف الإقبال تدريجاً على الحمامات حينما وصلت المياه إلى الأبنية والمنازل.

ولم يبق في العاصمة بيروت أيٌّ من الحمامات العربية القديمة المستقلة البناء موضوع البحث، وإنما هناك حمام واحد هو "حمام النزهة" في محلة المصيطبة، وهو عبارة عن طابق أرضي في بناية قديمة أنشئ عام 1920م. كما هو موجود على بلاطة رخامية على بابه، ويؤمن الخدمات نفسها التي تقدم في الحمامات العربية القديمة[12]، وكان يؤمن الاستحمام للنساء كل يوم إثنين من كل أسبوع حتى بضع سنوات خلت، وهو اليوم مخصص للرجال فقط على مدار الأربع والعشرين ساعة[13].

---

[8] انظر كنموذج سجل رقم 12، لسنة 1166هـ./ 1752م.، رقم (178)، وثائق نادرة من سجلات المحكمة الشرعية بطرابلس (1666- 1785م.)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، مؤسسة المحفوظات الوطنية (3)، بيروت – لبنان، 2002م.، ص 436 – 437.

[9] محمد سعيد القاسمي وآخرون، قاموس الصناعات الشامية، ج1، ص 108.

[10] لمزيد من التفصيل انظر محمد سعيد القاسمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 363.

[11] سجل رقم 3، ص 52، لسنة 1097هـ./ 1685م.، (رقم 55)، وثائق نادرة من سجلات المحكمة الشرعية بطرابلس (1666- 1785م.)، ص 181 – 183 (بتصرف).

[12] زيارة ميدانية للموقع، في 20/1/ 2007م..

[13] مقابلة مع أحد العاملين في حمام النزهة في بيروت، في 20 / 1/ 2007م..

شكل رقم (1) حمام النزهة في مدينة بيروت[14].

ومن الحمامات العامة التي كانت معروفة في بيروت:

حمام فخر الدين، حمام القيشاني، حمام الأوزاعي، حمام السرايا، حمام الصغير، حمام الدركة، حمام الباشورة، حمام النزهة، حمام زهرة سوريا[15].

ب-حمامات طرابلس:

تعتبر طرابلس أهم المدن اللبنانية التي ما تزال كثير من أبنيتها القديمة موجودة، والتي تعود إلى العصر المملوكي، وتعج بالحركة الدائمة من مساجد ومدارس وحمّامات وخانات وبيوت، ناهيك عن أسواقها القديمة المسقوفة والملتوية.

وفيها العدد الأكبر من الحمّامات التي بلغت 12 حمّاماً[16] في أواخر العهد العثماني، وذَكَرَ هذه الحمامات الرحالة الذين زاروا المدينة، ومنهم على سبيل المثال النابلسي الذي قال إن عدد حماماتها: أحد عشر حمّاماً هي:

حمام النوري، حمام عز الدين، حمام الدويدار، حمام الطواقية، حمام العبد، حمام القاضي، حمام العطار، حمام الناعورة، حمام الحاجب، حمام القراقيش، حمام القلعة. وفي الميناء حمام صغير لطيف، فيكون جملة ذلك اثني عشر حماماً على عدد جوامعها[17].

ومن هؤلاء الرحالة أيضاً ابن محاسن الذي قال: "وفيها من الحمامات العاملات تسعة غالبهم في غاية ما يكون من حسن البناء، والرخام الذي هو في غاية الجلاء"[18]، ولم يبق من حمامات طرابلس إلا ثمانية، وهي:

حمام الجديد، حمام النوري، حمام العبد، حمام عز الدين، حمام النزهة، حمام القاضي، حمام الحاجب، حمام العطار[19].

ولم يبق من بين الحمامات الكبيرة التي كانت تزخر بها طرابلس في العهد المملوكي سوى ثلاثة حمامات هي: حمام النوري، وحمام الحاجب، وحمام عز الدين[20].

وفيما يلي وصف موجز لبعض هذه الحمامات:

---

[14] الصور من مجموعة الباحثة، أثناء إعداد البحث.

[15] الشيخ عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دار المعرفة، ط1، دمشق – سورية، 1410هـ./ 1989م..

[16] د. عمر تدمري، طرابلس حاضرة لبنانية لها نكهة القاهرة وعطر دمشق، مجلة طرابلس بوست، العدد 28، ص28، شباط 2004م..

[17] حكمت بك شريف، تاريخ طرابلس الشام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيام، تحقيق منى حداد يكن ومارون عيسى الخوري،ص173-174، دار حكمت شريف/دار الإيمان،طرابلس–لبنان، 1323هـ.

[18] ابن محاسن (ت. 1053هـ.)، المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، تحقيق محمد عدنان البخيت، ص 86، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت – لبنان، 1401هـ./ 1981م..

[19] حكمت بك شريف، تاريخ طرابلس الشام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيام، ص 181.

[20] د. السيد عبد العزيز سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، القسم الأول، ص274، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت – لبنان، 1991م..

1- حمام النوري:

كان يعرف قديماً بحمام الطُرْمِشيّة نسبة إلى بانيه حاجب الحجاب بطرابلس الأمير "طُرمِش الكمشبغاوي الحموي" بين سنتي (793- 801هـ./ 1393- 1401م.)[21]، ويقع في أول سوق الصياغين قرب الجامع المنصوري الكبير وبمواجهة المدرسة النورية[22]، وقد تعطل العمل فيه منذ سنة 1968م..

وقد آلت ملكية الحمام فيما بعد إلى الأمير "محمود بك سنجق" الذي وقفه للجامع المعروف باسمه عند باب التبانة، وقد دخل هذا الحمام الرحالة الشيخ عبد الغني النابلسي أثناء زيارته لمدينة طرابلس في العاشر من شهر ربيع الثاني سنة 1112هـ./ 1700م.، ومما قاله عنه: "دعانا محمد جلبي خوجة زادة إلى الحمام، وهذا الحمام يُدعى بحمام النوري[23]، فيه بركة ماء متسعة مثمنة من الرخام الأبيض، وفي داخله خلاءٍ كثيرة، وأجران غزيرة، وفي وسطه صُفَّةٌ مدورة من الرخام"[24].

وفي زيارة ميدانية إلى هذا الحمام تبيّن أن بابه الخارجي يتوسط الحائط الداخلي لدكان خاصة الحاج "مصطفى جنزرلي"، وأفاد بأنه في طفولته كان أحد مستخدمي الحمام[25].

وباب الحمام من الخشب السميك نسبياً، وهو مقوس من جهته العليا ليتناسب وعقد الحجر الرملي فوقه، ويمر الداخل من الباب إلى رواق مرتفع السقف على شكل نصف برميل وذو جدران سميكة، ويؤدي الرواق إلى بهو الحمام الذي تتوسطه بركة ماء قديمة كبيرة الحجم، وهي التي وصفها الرحالة النابلسي، وإلى يمين الداخل للبهو، وفي مرتفع من الأرض، غرفة كبيرة نسبياً اقتطعت بألواح خشبية زرقاء من البهو الكبير، لتكوّن مكتب صاحب الحمام، ولا تزال آثار الأخشاب الزرقاء اللون بادية وكانت تعلوها ألواح زجاجية يمكن من خلالها مراقبة الأعمال داخل البهو، وفي جوانب مكتب صاحب الحمام مصاطب مدرجة لاستقبال الزبائن، وحول بركة الماء الكبيرة في بهو الحمام، توجد الكوات الأرضية (تجاويف في الجدران)، لاستعمال القباقيب، وحول البركة أيضاً المصاطب المدرّجة الفسيحة من الباطون، التي كانت تستعمل لجلوس الزبائن عليها ولارتشاف القهوة التركية وما شابه، أما سقف البهو الرئيس فهو قبة حجرية كبيرة وتحتها مباشرة فتحات زجاجية كبيرة عددها 16 فتحة زجاجية لإدخال النور دون الهواء، وقد سد بعضها بالباطون في عصر متأخر عن إنشائها[26].

---

[21] وثائق نادرة من سجلات المحكمة الشرعية بطرابلس (1666- 1785م.)، هامش 3، ص 182.

[22] د. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، القسم الأول، ص 274.

[23] د. عمر تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، ج2، ص 324- 325.

[24] عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز- وانظر حكمت بك شريف، المرجع نفسه، ص 169- 170.

[25] مقابلة مع الحاج مصطفى جنزرلي المسؤول عن مفتاح الحمام المغلق، في 8/ 2/ 2007م..

[26] زيارة ميدانية للموقع، في 8/2/ 2007م..

شكل رقم (2) الفتحات الأرضية في حمام النوري.

شكل رقم (3) القبة الكبيرة في حمام النوري.

شكل رقم (4) بركة من الرخام الملون تتوسط غرفة المشلح، وواجهة مكتب صاحب حمام النوري.

ومن هذه الغرفة ينتقل الداخل عبر رواق آخر يحتوي في أحد جدرانه، على حوض ماء جانبي يستعمل لغسل أرض الحمام، ويؤدي هذا الرواق إلى الغرفة الوسطى الدافئة نسبياً وفيها غرفتان جانبيتان في كل منهما جرنان من الماء، تستعملان للزبائن الذين لا يستطيعون تحمل الحرارة في الغرفة الثالثة الدافئة.

وقد أفاد الحاج "مصطفى جنزرلي"، أن الغرف الجانبية في الغرفة الوسطى وفي الغرف الجانبية لغرفة الحرارة وهي القسم الثالث من الحمام، كان يوضع على أبواب كل منها برادي عازلة لعزل الزبون عن عين الآخر توخياً للستر بعدم كشف العورات[27].

شكل رقم (5) غرف جانبية في حمام النوري، وكان يوضع على الأبواب ستائر توخياً للستر.

وبعد هذه الغرفة يمر الداخل أيضاً عبر رواق تزين سقفه قبيبات تتخللها الفتحات الزجاجية، وفي أعناق الزجاج دوائر فخارية تشكل صلة الوصل بين الزجاج والقبيبة، وظيفتها حفظ الزجاج عند تمدده وتقلصه عندما يتعرض للحرارة والبرودة، ومقرنصات على جوانب القبيبات تشكل صلة الوصل بين القبيبة والجدران وكذلك في سائر القبيبات والقبة الرئيسة في بيت الحرارة[28]، وقد وصف قباب الحمام د. السيد عبد العزيز سالم بقوله: "ويتكون هذا الحمام من غرف تعلوها قبوات وقبيبات تنفتح فيها مضاوي (أي فتحات صغيرة لإدخال الضوء) مسدودة بقبعات القناني الزجاجية الملونة، في إحكام

---

[27] مقابلة مع الحاج مصطفى جنزرلي، في 8/2/ 2007م..

[28] زيارة ميدانية للموقع، في 2007/2/8م..

صنعة وأجمل ترتيب، وأكبر هذه الغرف الغرفة المعروفة بالبيت الساخن، وتحيط بها مجموعة من المخادع الخاصة وتسمى الخلوات، ومضاوي البيت الساخن تؤلف تكويناً زخرفياً رائعاً، ويقوم عدة عقود نصف دائرية متقاطعة فيما بينها، تحيط بأطراف القبة، ويشغل الفن المركزي زخرفة نجمية الشكل، وأغلب قبيبات هذا الحمام من النوع المفصص القائم على جوفات مقوسة في أركانه"[29].

شكل رقم (7) مقرنصات، وقسم من قبيبات ذات فتحات في حمام النوري.

شكل رقم (6) فتحات زجاجية، قبة غرفة البخار زجاجية في رواق حمام النوري

وعلى يمين الداخل في هذا الرواق حوض ماء جانبي في الجدار يستعمل أيضاً في غسل أرضية الحمام، وعلى يمين الداخل أيضاً يوجد فتحة كبيرة في حائط الرواق ليس لها سقف ولم تعرف وظيفتها[30].

ويؤدي هذا الرواق إلى الغرفة الكبيرة المحماة (بيت الحرارة) وهي القسم الأهم في الحمام كما في سائر الحمامات، وفي وسط حائطها القِبلي فتحة كبيرة مربعة الشكل تأخذ البخار من المستوقد وعن يمينها ويسارها عشر غرف متوازية، أي أنه في كل جانب هناك خمس غرف، غرفتان جانبيتان عن اليمين وعن الشمال كبيرة الحجم عن الغرف الأخرى الجانبية، وفي أعلاهما من جهة حائط المستوقد آثار فتحة صغيرة سدت بالباطون، وربما كانت تأخذ كل غرفة من هاتين الغرفتين البخار مباشرة من المستوقد وإنما بكثافة أقل من الغرفة الرئيسة ذات الفتحة المربعة في جدارها القِبلي، وفي كل من هاتين الغرفتين جرنان من الماء، وفي الغرف الأخرى هناك جرن أو جرنان يسري فيهما الماء للمستحم، وعلى باب كل من هذه الغرف برادي للستر[31].

وفي وسط الغرفة الكبيرة آثار بركة ماء سُدّت بالباطون، وبارتفاع البركة يوجد باطون أيضاً يبدأ من تحت الفتحة المربعة في الجدار القِبلي مباشرة إلى نهاية الغرفة بحيث يقسم بهو هذه الغرفة الكبيرة نصفين، وهناك حجر باطون على جانب هذا القاسم يمكن الزبون من الصعود عليه ليصل من قسم إلى آخر من هذه الغرف العشرة، وهذا الفاصل العريض مُهَدّمٌ بعضه من جانبه القريب لفتحة البخار المركزية، وتظهر فيه آثار قساطل المياه المعدنية التي تتفرع منه إلى سائر الحمام، ويبدو أن تمديدات المياه كانت تؤمن للحمام في قساطل فخارية عند بنائه، ثم استبدلت بقساطل معدنية خارجية ظاهرة في جوانب عديدة من الحمام في وقت لاحق[32].

[29] د. السيد عبد العزيز سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ج1، ص 274.
[30] مقابلة مع الحاج مصطفى جنزرلي، في 8/2/ 2007م..
[31] زيارة ميدانية للموقع، في 8/2/ 2007م..
[32] زيارة ميدانية للموقع، في 8/2/ 2007م..

شكل رقم (8) جانب من بيت الحرارة في حمام النوري.

أما المستوقد فإنه يحتوي على آثار بركة حجرية مبنية من الصخر، كانت تمد بالوقود من فتحة خلفية خارجية من جهة الحديقة، وتمد بركة المستوقد بالماء بواسطة خزان يؤمن لها المياه تباعاً[33].

شكل رقم (9) داخل فتحة غرفة المستوقد المربعة التي تعطي البخار لبيت الحرارة في حمام النوري.

شكل رقم (10) صورة خلفية من خارج حمام النوري لتحمية ماء الحمام.

2- حمام عز الدين:

يقع هذا الحمام في محلة باب الحديد، وليس بعيداً عن جامع البرطاسي، وقد بناه الأمير عز الدين أيبك الموصلي المنصوري الذي تولى نيابة السلطنة، وهو صاحب البيمارستان والمدرسة "الزريقية"، وذلك بين سنتي 694 – 698 هـ[34]، وتوفي سنة 698هـ/ 1298 م.، وتربته لصيق حمامه[35]، وما زالت نافذة هذه التربة تحمل نقشاً تاريخياً يسجل تاريخ وفاته ونقوش تحته تمثّل شعار الأمير[36].

وذكر هذا الحمام الرحالة الشيخ عبد الغني النابلسي بقوله: "وفي اليوم التالي زرنا ونحن سائرون، الشيخ الولي الصالح المعروف بعز الدين وقرأنا له الفاتحة، وبالقرب منه حمام يقال له: حمام عز الدين، يُنسب إليه"[37].

---

[33] زيارة ميدانية للموقع، في 8/2/ 2007م..

[34] د. عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، ج2، ص 300.

[35] ابن محاسن (ت. 1053هـ)، المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، ص85.

[36] د. السيد عبد العزيز سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ج1، ص 274.

[37] حكمت بك شريف، تاريخ طرابلس الشام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيام، ص 171.

وهذا الحمام في الأصل عبارة عن "كنيسة لاتينية قديمة، أقام على أنقاضها الأمير عز الدين أيبك الموصلي المنصوري بين سنتي 694 – 698 هـ. حمّامه وأبقى فقط على البوابة الغربية التي تحمل نقوشاً لاتينية وعقد المدخل الرئيسي للحمام، أما الباب المفضي إلى الحمّام فيحمل على عتبته العليا صورة حَمَلٍ تحيط برأسه هالة دائرية كناية عن الحَمَلِ الفُصحي الذي يُضَحّى به في عيد الفصح عند المسيحيين، وعن يمين الحَمَلِ ويساره زهرتان دائريتان بالقرب من اليمنى منهما كتابة لاتينية"[38]، ولا تزال هذه النقوش موجودة حتى الآن، ولا تزال أعمال الترميم قائمة فيه، ويتميز هذا الحمام بقبواته ذات المضاوي الجميلة التي تخترقها فتحات زجاجية لإدخال الضوء إلى داخل الحمام، ولا تزال أربع قباب محافظة على وجودها، وتقام فيها أعمال الصيانة، وهناك قبة تهدم بعضها بالكامل كشفت عن أساور الفخار التي تحمل رقبات القناني الزجاجية الملونة التي صُفَّت في القبة بطريقة هندسية جميلة، وقبة تهدمت كلياً، ويسعى عمال الترميم إلى إعادة شكلها السابق، كما سائر القبب المجاورة لها[39].

شكل رقم (11) قبة من قباب حمام عز الدين في طرابلس (قيد الترميم).

أما القبة الكبيرة الرئيسة للحمام والتي تشكل قبة غرفة البراني "الغرفة الأولى"، فيوجد تَحْتَها مباشرة أربع فتحات زجاجية كبيرة، وتحتها أربع فتحات زجاجية أخرى معاكسة في تعامدها مع التي

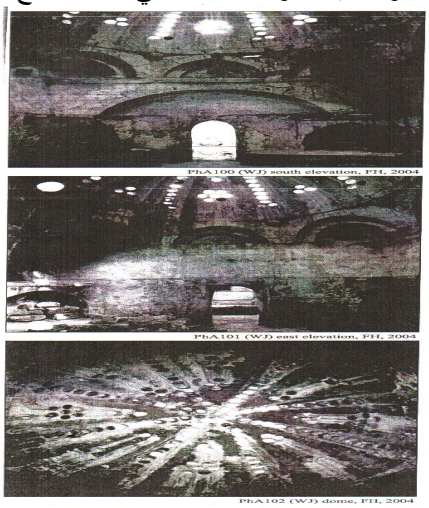

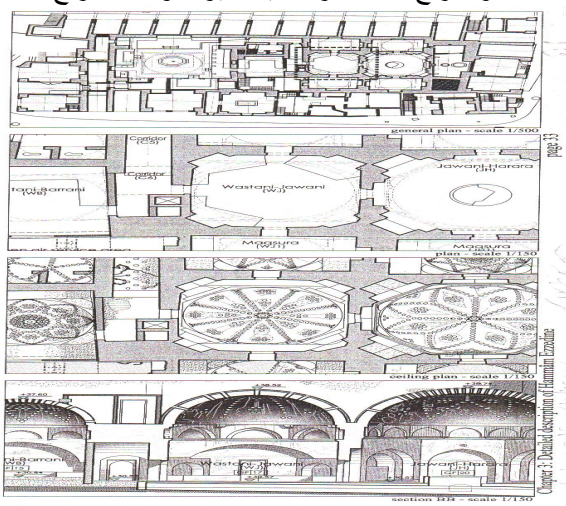

38
39
40

شكل رقم (12) مقطع عمودي جزئي، وخارطة لحمام عز الدين في طرابلس.

وتتوسط غرفة البراني هذه بركة ماء كبيرة، وحولها فتحات أرضية تبدو جميلة رغم تعاور الزمن عليها وتستعمل لاحتواء قباقيب الحمام أو الأمتعة الأخرى، وفي داخل القاعة مرتفع من الأرض يشكل مكان جلوس صاحب الحمام يفصله عن بهو القاعة آثار خشب قديمة بحيث تشكل غرفة قائمة بذاتها، ويرى ما بداخل القاعة عبر ألواح زجاجية كبيرة كانت ترتكز على الخشب، وحول البركة أيضاً مدرجات من الباطون بأشكال مختلفة تستعمل لجلوس الزبائن، وتناول القهوة التركية وما شابه[41]، ولا تزال ألوانها الزرقاء بادية للعيان، وأفاد أحد العاملين في ترميم الحمام بأن: "الحمام سيصبح متحفاً يؤمّهُ الزائرون لمدينة طرابلس"[42].

شكل رقم (13) جانب من غرفة المشلح في حمام عز الدين.

3- حمام الطواقية أو حمام العبد:

هو من حمامات باطن طرابلس وجاء ذكره في "سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس في أمر دعوى أقامها رجل على وكيل الحمام بخصوص مصاريف إصلاحه وأثمان تراب وكلس وأجرة قفول ومعلمين لأجل تبليطه وتلبيسه ظاهراً وباطناً وإصلاح طريقه الخارجي، وقد تكلف الرجل مبلغاً وقدره ثمانية وخمسون قرشاً"[43].

ويذكر مؤرخ طرابلس د. عمر تدمري أن حمام الطواقية هو الحمام نفسه المعروف بحمام العبد[44]، وعرف بالطواقية نسبة إلى سوق الطّواقيّة، حيث تُصنع الطواقي وتباع، كما عرف في سجلات المحكمة الشرعية في المدينة بالحمام الجديد، مما يعني أنه بُني حول منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي[45].

---

[41] زيارة ميدانية للموقع، في 8/ 2/ 2006م..

[42] مقابلة مع الأستاذ خالد الحاج، أحد العاملين في ترميم الحمام، في 8/ 2/ 2006م.-وفي مقابلة مع المهندس خالد الرفاعي، المسؤول عن المواقع الأثرية في لبنان، في 3/3/ 2007م، أفاد: "بأن الحمام آل إلى المديرية العامة للآثار، ويجري ترميمه لاستعماله كمحتف، وليكون مركزاً ثقافياً.

[43] سجلات المحكمة الشرعية، السجل التاسع 1159– 1160هـ.، ص4 رقم الوثيقة 2.

[44] إن تسمية "حمام العبد" بهذا الاسم ذكر في وقفية الحمام، انظر د. عمر تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، ج2، ص314- 315.

[45] د. عمر تدمري، المرجع السابق، ج2، ص 314- 315.

ويقع الحمام غربي خان الصابون في مكان ليس ببعيد عن الجامع الصغير في المدينة، ولا يعرف تاريخ بناء هذا الحمام ولا بانيه، وله مدخلان: الأول من سوق الكندرجية وهو الرئيس، والثاني: من سوق الصاغة عبر زقاق طويل ضيّق ملاصق لجدار المدرسة الطواشية القائمة في وسط سوق الصاغة.

وفي زيارة ميدانية لهذا الحمام تبين أنه الوحيد في المدينة الذي لا يزال يعمل بنظام الحمامات القديمة، وعلى يسار الداخل من جهة سوق الصاغة توجد القاعة الرئيسة للحمام، وعلى يسار الداخل أيضاً يوجد مكتب المسؤول عن شؤون الحمام هو الأستاذ "مهند الشبعان"، وأفاد "بأن الحمام يعمل من الثامنة صباحاً حتى الثانية عشرة ليلاً للرجال فقط، ويفتح الحمام للنساء إذا كن مجموعة، وبناء عن موعد مسبق"[46].

ويتألف الحمام من قاعة هي بمثابة البهو الرئيس للحمام (الغرفة الباردة أو غرفة المشلح)، تتوسطها بركة ماء صغيرة من الرخام الأبيض وحولها في الأرضية رفان من الرخام الأبيض لوضع القباقيب والأحذية، وقد استعيض بهما عن الفتحات الجانبية الأرضية التي توجد في سائر الحمامات القديمة، وأرض القاعة من الرخام الأبيض الكبير الحجم، وحول البركة أيضاً، مدرجات ليست عريضة ممدد عليها أصناف من البسط العربية والسجاد بألوان زاهية، وفي هذه الغرفة تقدم القهوة والعصير والأراكيل للراغبين، ويتوسط سقف القاعة قبة جميلة تتخللها الفتحات الزجاجية الشفافة وتتدلى من وسطها ثريا قديمة العهد من الفضة مشغولة بزخارف ناعمة وحبال ملونة من الخرز وخلافه، وحول البركة أيضاً نصبت حبال عالية رفيعة من المعدن، أعدّت لتنشيف المناشف في الحمام، ويعمد العامل في الحمام إلى لف المنشفة التي يريد نصبها على الحبل المعدني بطريقة دائرية فنية، ويرميها في الهواء فتسقط على الحبل، ومن ثمَّ يفردها بواسطة عصاة خشبية أعدت لهذه الغاية[47].

شكل رقم (14) جانب من بهو حمام العين

وفي جانب هذا البهو أيضاً وعلى يمين الداخل توجد قاعة قديمة من الحجر الرملي على شكل نصف برميل، كبيرة الحجم، تستعمل كمشلح، وفيها وسائد أرضية من الإسفنج ومغطاة بالبسط العربية والسجاد الزاهي الألوان، وتقدم فيها أيضاً القهوة وسائر طلبات الزبائن، وفي وسطها درج يوصل إلى قبو الحمام ويستعمل كمخزن[48].

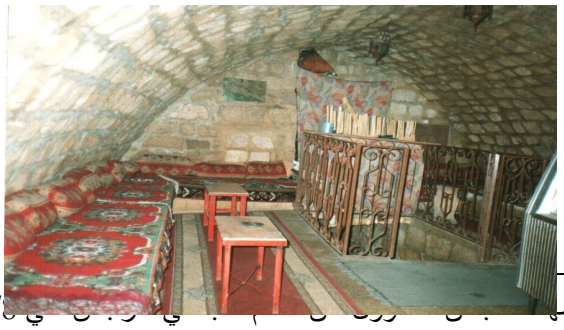

[46] مقابلة مع الأستاذ م[illegible] في 8/ 2/ 2007م..
[47] زيارة ميدانية للموقع، في 8/ 2/ 2007م..
[48] زيارة ميدانية للموقع، في 8/ 2/ 2007م..

شكل رقم (15) غرفة المشلح في حمام العبد، مفتوحة على بهو الحمام.

وفي الحائط القِبلي للقاعة الرئيسة، يوجد باب مغلق يؤدي إلى الغرفة الوسطى في الحمام، وهي مستطيلة الحجم، وليست كبيرة بالنسبة إلى البهو الرئيس، وهذه الغرفة خالية من وجود بركة ماء في وسطها، وإلى يسارها تُوجد غرفة صغيرة فيها بعض الكراسي، ويرتشف الزبائن فيها القهوة ريثما ترتاح أبدانهم من جو الحرارة الدافئ في الغرفة الأخيرة وعلى باب الغرفة الصغيرة برداية لستر الزبون حين تبديل المناشف، وفي الغرفة الوسطى هذه ذات الحرارة الخفيفة، يتم تنشيف الزبون وتقدم له المناشف اللازمة قبل تبديل ملابسه في غرفة المشلح[49].

وتتصل هذه الغرفة بالغرفة الكبيرة عبر رواق صغير، وعلى يمين الداخل حوض ماء مبني في الجدار، يستعمل لغسل أرضية الحمام ومن هذا الرواق يصل الداخل إلى الغرفة الأخيرة الكبيرة (بيت الحرارة)، ولا يوجد فيها أثر لطاقة البخار كما في الحمامات القديمة الأخرى، وإنما في جهتها القِبلية تُوجد غرفة السونا (غرفة الحرارة) التي لا يلبث فيها الزبون إلا لدقائق معدودة لشدة حرارتها التي تصل إلى 80 درجة مئوية، وعلى يمين باب غرفة الحرارة، يوجد جرن ماء، عليه صنبور ماء من النحاس[50] وآخر من المعدن العادي، ويتوسط الغرفة الكبيرة هذه بركة من الرخام الأبيض الجميل وألغي استعمالها كبركة ماء وتستعمل للجلوس بحيث سد سطحها وبلّط بالرخام الأبيض وزيّن بأنواع البلاط الملون ذي الأشكال الهندسية البديعة من اللون الأسود والأبيض والبني، وعلى طرفي هذه القاعة، اليمين واليسار أربع خلوات للاستحمام، على كل طرف اثنتين وتحتوي كل منها جرنين للماء، وإحدى هذه الخلوات على يمين الداخل هي خلوة "التكييس" وتستعمل لتليين المستحم بكيس الحمام، ولا يسمح للزبائن باستعمالها بمفردهم كما أفاد العامل في الحمام، وتحوي على جرنين من الماء، واحد أكبر من الآخر، وبعمق مختلف. وتليها غرفة أخرى على يمين الداخل هي غرفة البخار وهي صغيرة الحجم نسبياً. والخلوتان المتفرعتان من جهة اليسار تستعملان للزبائن بحرّية[51].

واللافت في هذا الحمام أنابيب المياه ذات القساطل المعدنية الظاهرة على جوانب الجدران، وهي تختلف عن القساطل الفخارية في الحمامات القديمة، وهي إما جددت لتتناسب مع العصر، وإما تدل على حداثة بناء الحمام بالنسبة إلى الحمامات القديمة[52]. وأقسام الحمام مغطاة بأقباء معقودة يدخلها نور الشمس عبر جامات من الزجاج[53].

ج- حمامات صيدا:

تعتبر صيدا من المدن الساحلية الإسلامية في لبنان، وقد تعرضت للخراب مرات عديدة في تاريخها الطويل منذ الفينيقيين، حتى أمست كثيرة الخراب، والباقي من أبنيتها الأثرية جلّه بُني في عهد الأمير فخر الدين المعني الكبير (1595- 1634م.)[54]، وضمت المدينة في باطنها وبين أبنيتها القديمة عدداً من الحمامات العامة ولم يبق من الحمامات الخاصة في المدينة سوى حمام خاص صغير مكوّن

---

[49] زيارة ميدانية للموقع، في 8/ 2/ 2007م..

[50] أفاد الأستاذ مهند الشبعان، المشرف على حمام العبد بأن: "عمر صنبور النحاس مئتي سنة، أما سائر الصنابير فيتم تبديلها كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وهي من المعدن العادي"، مقابلة في 8/ 2/ 2007م..

[51] زيارة ميدانية للموقع، في 8/ 2/ 2007م..

[52] زيارة ميدانية للموقع، في 8/ 2/ 2007م..

[53] طرابلس، نشرة وزارة السياحة، الجمهورية اللبنانية، بيروت – لبنان، ل. ت..

[54] حليم مجدلاني، دليل صيدا الأثري، ص34، المكتبة العصرية، ط1، صيدا/ بيروت - لبنان.

من قسمين فقط يفصل بينهما ممر صغير ذو سقف مدبب فيه بعض الفتحات الزجاجية، وهذا الحمام هو قسم صغير من قصر علي حمود، الذي تحول فيما بعد إلى مدرسة عائشة أم المؤمنين[55]، في محلة بوابة الشاكرية، وكان من تلامذة هذه المدرسة د. عبد الرحمن حجازي[56] الذي أرشد الباحثة إلى مكان وجود الحمام، وتجري في هذه المدرسة اليوم أعمال الترميم لاستعادة رونقها الذي يشمل في قسم منه إدارة المدرسة التي تزين جدرانها نقوش عثمانية[57].

شكل رقم (16) جانب من حمام صغير في قصر آل حمود،(مدرسة عائشة أم المؤمنين).

أما الحمامات العامة فقد ذكر الرحالة عبد الغني النابلسي أثناء زيارته للمدينة في شهر ربيع الأول من سنة 1112هـ.[58]، ثلاثاً من حماماتها هي: حمام السوق، وحمام الشيخ، وحمام الأمير[59].

وعندما اتسعت المدينة وكثر عدد سكانها تم إنشاء حمامين آخرين هما: حمام الورد، والحمام الجديد. والملاحظ أن هذه الحمامات أقيمت بالقرب من المساجد، مما يدل على تسهيل عملية الطهارة الجسدية للناس، قبل الدخول إلى المساجد، وتعذر وجود المياه الساخنة في المنازل. وكانت هذه الحمامات تخصص أوقاتاً معينة للرجال، وأخرى للنساء والعائلات[60]، وفيما يلي نبذة عن كل منها:

1- حمام السوق:

يقع هذا الحمام بالقرب من جامع بطّاح، وضمن سوق تجاري كان يعرف قديماً بمحلة الدكاكين، ويعرف أيضاً باسم حمام "سبع بُنَيات" لوجود سبع صنابير للمياه بداخله[61].

وقد ورد ذكره في وثيقة من وثائق المحكمة الشرعية في صيدا، يعود تاريخها إلى عام 1115هـ.، والحمام من أوقاف الجامع العمري في المدينة. وكمعظم الأبنية التاريخية القديمة، فقد احتاج الحمام إلى الترميم نتيجة الخراب الذي حل به، ولذلك فقد رمم في الفترة الزمنية الواقعة بين سنتي 1868 و1872م. "وبلغت كامل تعمير ومصارفات حمام السوق ... مبلغ ..."[62].

---

[55] انتقل القصر من ملكية آل حمود إلى جمعية المقاصد في صيدا– ولمزيد من التفصيل انظر محمد حسن حلمي الرواس، تاريخ صيدا العثمانية (1840 – 1888م.).

[56] مقابلة مع د. عبد الرحمن حجازي، في 1/ 3/ 2007م.- ومقابلة مع المهندس عماد اليوسف أحد المشرفين على أعمال الترميم في مؤسسة الحريري، صيدا، في 1/ 3/ 2007م..

[57] زيارة ميدانية للموقع، في 1/ 3/ 2007م..

[58] محمد حسن حلمي الرواس، تاريخ صيدا العثمانية (1840 – 1888م.)، ص 93.

[59] عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، ص 34.

[60] د. عبد الرحمن حجازي، دليل معالم صيدا الإسلامية، ص 87، المركز الثقافي الإسلامي / المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت – لبنان، ل. ت..

[61] محمد حسن حلمي الرواس، تاريخ صيدا العثمانية (1840 – 1888م.)، ص 93.

[62] محمد حسن حلمي الرواس، المرجع السابق، ص 93- 94.

وسقف الحمام مرتفع جداً، ويُدخل إليه بواسطة درج طويل يبلغ معدل انخفاضه عن الشارع العام حوالي أربعة أمتار.

ويتكون الحمام من فناء واسع، وعدة غرف للاستحمام، ويبدو الطراز العثماني واضحاً على بنائه، وحوّل الآن إلى مخبز للخبز[63].

2- حمام الشيخ:

يعرف أيضاً بـ "حمام الكيخيا"، لقربه من جامع الكيخيا، وذكره النابلسي أثناء زيارته لصيدا، وفوق مدخل الحمام رخامة تدل على بانيه وتاريخه، منقوش فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا المكان ... العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ العلامة عز الدين ابن الشيخ المرحوم خليل ابن المرحوم الشيخ العلامة شهاب الدين أبي العباس... الشافعي أيده الله تعالى في شهر ربيع ... سنة خمس... وثمان ماية والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم"، مما يدل على أن بناء الحمام كان في القرن التاسع الهجري.

شكل رقم (17) مدخل حمام الشيخ في صيدا.

وفي عام 1273هـ./ 1857م. كان يملك الحمام "جناب السيد يوسف آغا الجوهري"، وانتقلت ملكيته عام 1964م. إلى خليل الحلبي، وفي عام 1974م. انتقلت الملكية إلى ورثته[64].

ويمر الداخل إلى الحمام من الباب الخارجي عبر رواق إلى غرفة المشلح الفسيحة الأرجاء، حيث تتوسطها بركة رخامية ملونة بعلو قامة، وحولها الكوات الأرضية للقباقيب والأمتعة الأخرى، وحول البركة مصاطب مكسوة بالبسط العربية لجلوس الزبائن عليها، وفي قسم من الغرفة مرتفع من الأرض يجلس عليه معلم الحمام، ولا يوجد لهذا القسم أثر فاصل له عن باقي الغرفة كما في حمامات طرابلس العائدة إلى العصر المملوكي، ويعلو سقف غرفة المشلح قبة جميلة، وتحتها الفتحات الستة عشر للزجاج الشفاف الذي يُدخل الضوء دون الهواء، وتنفتح غرفة المشلح على مكان فسيح يُصعد له ببضع درجات يُستعمل الآن للقهوة والأراكيل للراغبين، وسقفه على شكل نصف برميل شبيه بحمام العبد في مدينة طرابلس[65].

---

[63] د. عبد الرحمن حجازي، دليل معالم صيدا الإسلامية، المركز الثقافي الإسلامي، ص 89.

[64] محمد حسن حلمي الرواس، تاريخ صيدا العثمانية (1840 – 1888م.)، ص 75.

[65] زيارة ميدانية للموقع، في 1/3/ 2007م..

شكل رقم (18) فتحات أرضية لوضع قباقيب الحمام، في غرفة المشلح في حمام الشيخ.

ومن هذه الغرفة يُدخل عبر باب صغير إلى القسم الثاني والثالث من الحمام الذي يمتاز بسعته وسعة غرف الاستحمام فيه، وبمغاطسه الجميلة المبلطة بالبلاط الناري، وقد توقف العمل فيه سنة الاجتياح الإسرائيلي عام 1982م.[66]، وأعيد فتحه بعد ذلك وهو الآن الحمام الوحيد في المدينة الذي لا يزال يعمل بالطريقة التقليدية للحمامات القديمة، والمسؤول عن الحمام اليوم هو الأستاذ أحمد الحلبي، ويستعمل الحمام الآن للرجال فقط[67].

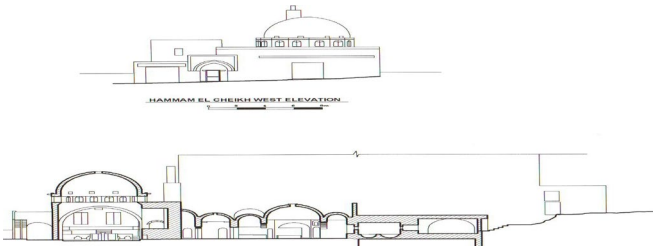

شكل رقم (19) الصورة العليا تظهر الواجهة الغربية لحمام الشيخ، والصورة السفلى مقطع عمودي للحمام.

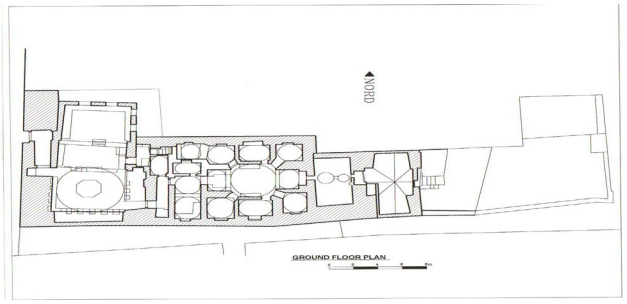

شكل رقم (20) مسقط أفقي عام لحمام الشيخ.

3- حمام المير أو الأمير:

يقع هذا الحمام قرب خان الإفرنج[68]، وينسب إلى الأمير فخر الدين المعني الكبير[69]، غير أن سجلات المحكمة الشرعية في صيدا التي يعود تاريخها إلى العام 1115هـ./ 1703م.، تثبت أنه من أوقاف الأمير أحمد كوجك باشا[70].

ووصفه الرحالة الشيخ عبد الغني النابلسي بقوله: "حمام الأمير وهو مطل على البحر، كبير، ذو مياه غزيرة، مبلط بالرخام، وفي مشلحه بركة ماء كبيرة عالية مثمنة من رخام أبيض، وهي مشيدة على ستة عشر حجراً، كل حجر طوله نحو قامة، والبلاط الذي حول البركة على الأرض يشتمل على أربع قطع من الرخام، كل قطعة في جهة يبلغ مقدارها نحواً من خمسة أذرع. وفي داخل الحمام

---

[66] د. عبد الرحمن حجازي، دليل معالم صيدا الإسلامية، ص 90.

[67] زيارة ميدانية للموقع، في 3/1/ 2007م.

[68] د. عبد الرحمن حجازي، دليل معالم صيدا الإسلامية، ص 89.

[69] د. صبحي عبد الله، العمارة الإسلامية في صيدا، ص 35، مطابع الشوف الحديثة، شحيم- لبنان، 2004م..

[70] محمد حسن حلمي الرواس، تاريخ صيدا العثمانية (1840 – 1888م.)، ص 74.

بركتين كبيرتين، واحدة ماؤها حار، والأخرى ماؤها بارد. وداخل الحمام متسع جداً، وفيه خلاوٍ كثيرة، وفي طبقته الأولى فسقية من رخام لطيفة، وهواؤه لطيف معتدل"[71].

شكل رقم (21) واجهة عامة لحمام المير (الأمير).

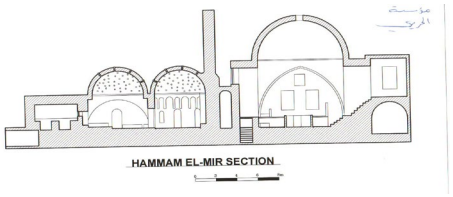

شكل رقم (22) مقطع عمودي عام لحمام المير (الأمير).

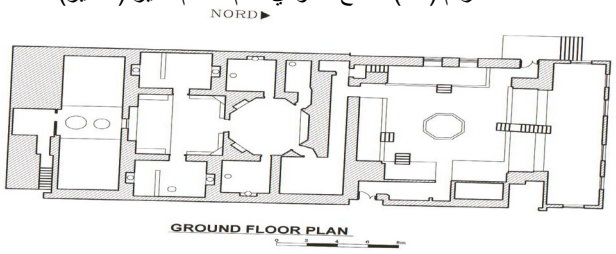

شكل رقم (22) مقطع أفقي لحمام المير (الأمير).

وأغلق الحمام منذ فترة طويلة، واندثرت معالمه بعد الاجتياح الإسرائيلي لمدينة صيدا عام 1982 م.، حيث قامت الجرافات بجرفه، ليظهر واضحاً خان الإفرنج من الناحية الغربية. ولم يُعرف أنه تابع للأوقاف الإسلامية في الشام إلا بعد هدم القسم الأكبر منه، ولم يبق منه إلا آثار جدار في الناحية الجنوبية منه وآثار فجوة خلفه غير واضحة المعالم، وربما كانت المكان الذي يوقد منه الحمام، وقد حددت الأرض التي كان يقع عليها بسور من الحجارة، وهي اليوم بتصرف بلدية صيدا، وعلى جانب السور لوحة مكتوب فيها:

"دائرة الأوقاف الإسلامية في صيدا: حمام الأمير فخر الدين، بني في القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي، تهدم في الاجتياح الإسرائيلي عام 1982م.، بوشر الترميم عام 2003م.، مِرفق رئيسي من تراث صيدا"[72]، غير أن زيارة المكان لا تشير إلى أي أعمال ترميم[73].

[71] الشيخ عبد الغني النابلسي، الرحلة النابلسية الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، ص34 - وانظر د. عبد الرحمن حجازي، دليل معالم صيدا الإسلامية، ص 88- وانظر محمد حسن حلمي الرواس، تاريخ صيدا العثمانية (1840 – 1888م)، ص 74.

[72] زيارة ميدانية للموقع، في 2007/1/27م..

[73] زيارة ميدانية للموقع، في 2007 /3/1م..

شكل رقم (23) بقايا جدار حمام المير (الأمير).

4- حمام الورد:

يقع هذا الحمام قرب المدخل الشمالي للمسجد العمري الكبير، وشيد على طراز معماري يمزج بين فن العمارة الإسلامية والطراز الإيطالي، ويمتاز بزخارفه الجميلة وبقاعة المشلح الواسعة الأرجاء، ويشكل العقد المنحني الذي يعلو بابه مدخلاً إلى ذلك الفناء الواسع، واللوحة الرخامية التي تعلو بابه تشير إلى تاريخ إنشائه سنة 1142هـ.، وإلى أنه من بناء آل حمود[74].

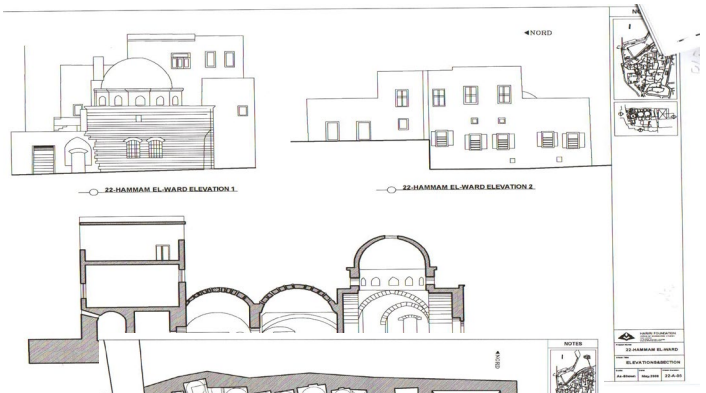

شكل رقم (24) الصورة العليا تمثل واجهة حمام الورد، الصورة السفلى تمثل مقطع عمودي للحمام.

شكل رقم (25) مسقط أفقي عام لحمام الورد.

وقد آلت ملكيته بعد ذلك إلى أبو عزة البخاري مغربي باشة، الذي أوقفه وجعل ريعه إلى مسجد البوابة وفقراء الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد بلغ من الشهرة أن أُطلق اسمه على المحلة التي يقع فيها، فأصبحت تعرف بـ "محلة حمام الورد".

[74] د. عبد الرحمن حجازي، دليل معالم صيدا الإسلامية، ص 90.

ويستدل من وثائق دائرة الأوقاف الإسلامية في صيدا إلى أن هذا الحمام قد آل إلى خراب بحيث لا يُنتفع به مطلقاً، فقام الخواجة جبران أبيلا بترميمه واستئجاره في الفترة الواقعة بين عامي 1288 و1307هـ.، بإجارة مؤجلة مقدارها 500 غرش سنوياً[75].

وقد رمم الحمام مؤخراً ومفتاحه في أحد الدكاكين القريبة منه[76].

شكل رقم (26) حمام الورد من الخارج.

5- الحمام الجديد:

يقع الحمام في محلة تعرف باسمه، وحوله محلات تجارية، وفوق مدخله أبيات شعرية منقوشة تدل على تاريخ بنائه عام 1126هـ./ ، وأنه من إنجاز مصطفى حمود.

وتؤكد وثائق دائرة الأوقاف الإسلامية في صيدا، وسجلات المحكمة الشرعية في المدينة، أن هذا الحمام هو من أوقاف "الحاج مصطفى آغا حمود" وجعل ريعه وقفاً ذُرّياً، وشَرَطَ الواقف أيضاً: "أن يصرف من غلة الحمام، في كل جمعة، ثمن خمسة أرطال من خبز دقيق الحنطة، بالغاً ما بلغ ثمن ذلك، ويفرّق صدقة لله تعالى على فقراء المسلمين وتقرّباً لرب العالمين"[77].

ويمتاز مدخل الحمام بزخارف مشابهة للزخارف المتبقية في الجامع البراني في مدينة صيدا، ويبدو الطراز العثماني على بناء الحمام، خاصة في قببه ذات النوافذ الزجاجية الصغيرة. ويتألف الحمام من قاعة كبيرة، وغرف صغيرة جداً (خلوات) للاستحمام، وقد سُدَّ مدخل الحمام بالحجارة وتحول إلى محل لبيع الألبان والأجبان. وهُدمت إحدى نافذتي الحمام المطلتين على الشارع العام لتتحول إلى مدخل لمصنع للتجارة[78].

د- حمامات صور:

لا توجد آثار حمامات قديمة إسلامية في مدينة صور الساحلية لأن كل ما احتوته المدينة من آثار مهمة دمرت سنة 1750م.، ولا يوجد فيها إلا آثار حمامين:

الأول: لا يُعرف عنه شيء[79].

الثاني: حمام الجامع الذي سمي بهذا الاسم لقربه من الجامع الكبير بالمدينة، وبُني بعد عام 1750م.، وهو حمام متواضع خالٍ من أي زخرفة، وصمم على غرار الحمامات التقليدية الأخرى، وكانت تعلوه القباب كسائر الحمامات، إلا أنه في مطلع القرن العشرين الميلادي توقف العمل به، ولا تزال أرضيته وجدرانه موجودة، وهُدمت القباب وصُبّ مكانها سقف، وأقيم فوقه بناء للسكن العادي،

---

75 محمد حسن حلمي الرواس، تاريخ صيدا العثمانية (1840 – 1888م.)، ص 88.

76 زيارة ميدانية للموقع، في 1/3/ 2007م..

77 محمد حسن حلمي الرواس، تاريخ صيدا العثمانية (1840 – 1888م.)، ص86.

78 د. عبد الرحمن حجازي، دليل معالم صيدا الإسلامية، ص91 (بتصرف).

79 مقابلة مع الأستاذ علي بدوي، مسؤول آثار صور، 20/2/ 2007م..

وقُسِّمَ فناء الحمام إلى أقسام، ويستعمل قسم منه حالياً كمقهى يملكه شخص من آل الأشقر، والقسم الآخر منه يستعمل كمصنع لتجارة للأخشاب[80].

حمامات جبل لبنان:

انتشرت الحمامات في جبل لبنان ومنها ما أمسى أطلالاً كحمام بلدة عبيه، ومنها ما عاثت فيه يد الخراب إبان الحرب اللبنانية 1975- 1991م. كحمام بلده دير القمر، ومنها ما بقي محافظاً على رونقه الجمالي بفضل الصيانة الدائمة كحمام بلدة بيت الدين.

وفيما يلي نبذة عن كل منهم:

1- حمام عبيه:

حمام بلدة عبيه من قرى الشوف اللبنانية، من الحمامات التي أمست أطلالاً، بناه الأمير ناصر الدين الحسين سنة 725هـ./ 1325م.، قرب مسجد البلدة، وكانت تصله المياه من قناة تصل من شاغور عبيه إلى عين الحَمام، وهي من أعمال الأمير الحسين سنة 1317م.[81].

2- حمام دير القمر:

حمام دير القمر من الحمامات الخاصة التي بنيت على طراز الحمامات العامة في المدن الساحلية، ويقع الحمام في طرف قصر جرجس باز[82]، الذي يملكه الآن الأستاذ سمير باز ويسكنه صيفاً للاستجمام، ويعود بناؤه إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي[83].

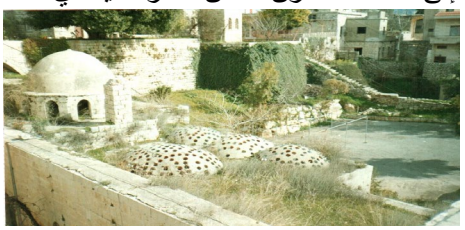

شكل رقم (27) حمام قصر باز من الجهة الخارجية.

ويقع قصر باز إلى يمين قصر الأمير فخر الدين المعني الكبير، وقد بُني على الطراز الشرقي التقليدي، وتتوسطه باحة داخلية مفتوحة السقف في وسطها بركة ماء مثمنة الأضلاع من الرخام الأبيض البديع، بجانب حجر صخري أصفر عليه رسوم زخرفية بديعة[84]، وتحوطها الغرف والحمّام، والقصر من طبقتين، مدخله باب مهيب تطرّزُهُ نقوش ناتئة وحجارة ملونة، وكان الأمير أحمد الشهابي (1754 – 1763م.) بناه لزوجته التي باعته لاحقاً إلى جرجس باز (وزير الأمير بشير الثاني الشهابي) فبات القصر معروفاً باسمه[85].

وبزيارة ميدانية للموقع تبيّن أن للحمام باب داخلي من الخشب الأصفر السميك الذي لا يزال يحافظ على نضارته رغم تعاور الأيام، ويُفتح مباشرة على باحة القصر غير المسقوفة، وباب خارجي حديدي مستحدث من جهة الوادي، لحماية ما تبقى من الحمام الذي شمله التخريب، وهناك باب خشبي قديم صغير للمستوقد لا يزال موجوداً من الجهة الخارجية أيضاً[86].

---

80 مقابلة مع الأستاذ علي بدوي، م..

81 estead.com/files,hstorie

82 د. صالح لمعي مصطفى، العما ي لبنان، ص79- لوحة رقم 1.

83 مقابلة مع الأستاذ سمير باز، ص 28/ 1/ 2007م..

84 زيارة ميدانية إلى الموقع، في 3

85 دير القمر والشوف الأوسط، نش بنانية، بيروت – لبنان، ل. ت..

86 زيارة ميدانية للموقع، في 28/ 1/ 2007م..

شكل رقم (28) باب المستوقد الخارجي.

وأما شكل الحمام، فتصميمه كسائر الحمامات القديمة من الغرفة الباردة، فالفاترة فالساخنة.

والداخل من الباب الخارجي يمر عبر رواق صغير على شكل نصف برميل يؤدي إلى غرفة المشلح أو الغرفة الباردة، ذات القبة الكبيرة المزدانة برسوم ونقوش بألوان متعددة لا تزال بقاياها واضحة، وتحت القبة مباشرة نوافذ زجاجية من الزجاج الأبيض الشفاف[87].

شكل رقم (29) آثار رسوم في قبة غرفة المشلح، وآثار الفتحات الزجاجية، حمام قصر باز.

وتعرض الحمام للتخريب إبان الحرب اللبنانية عام 1975م. وما تلاها من سنوات الحرب المدمرة، خاصة في الجدران والأرضيات بحثاً عن كنوز ضائعة على حسب ما كان شائعاً عند العامة.

وشمل التخريب البركة التي تتوسط غرفة المشلح بالكامل، وحتى بلاط الأرضية قضي عليه بالكامل أيضاً، ولا تزال على جوانب الأرضية بعض من آثار الكوات الجدارية الأرضية التي كان يستعملها نزلاء الحمام عادة لوضع القباقيب أو بعض الأمتعة التي بحوزة الداخل، أو لأغراض أخرى، وهي عبارة عن فجوات جدارية تزدان جوانبها بالرخام الأبيض المشغول بذوق مرهف. ولا تزال حول هذه الأرضية آثار المصاطب العريضة التي كان يجلس عليها النزلاء للراحة واضحة المعالم رغم التخريب الكبير الذي لحق بها[88].

شكل رقم (30) آثار الخراب في غرفة المشلح في حمام قصر باز.

[87] زيارة ميدانية للموقع، في 1/28/ 2007م..

[88] زيارة ميدانية للموقع، في 1/28/ 2007م..

ومن هذه الغرفة ينتقل الداخل إلى الغرفة الوسطى الدافئة (غرفة التدليك)، وهي أصغر قليلاً من غرفة المشلح، والخراب بادٍ في جدرانها وأرضيتها التي لا تزال تحتفظ ببقايا من الحجر الرخامي الأبيض والحجري الملون الحافظ للحرارة، وهي شبه مدمرة بالكامل، ولم يبق منها إلا القبيبات التي تعلوها وتعلو غرفة البخار الكبيرة، وتشكل ثلاث قبيبات، وظهرت آثار التآكل في جدران القبيبات، وتتخلل القبيبات فتحات زجاجية جميلة لتمرير الضوء، إلا أن هذا الزجاج قد تعرض للتكسير أيضاً[89].

شكل رقم (31) بعض آثار البلاط في حمام قصر باز.

شكل رقم (32) آثار التآكل باد في جدران قبيبة حمام قصر باز.

وينتقل الداخل من غرفة التدليك عبر رواق صغير آخر على شكل نصف برميل إلى غرفة البخار الكبيرة، وفي واجهتها القِبلية فتحة مربعة الشكل يتراوح طول كل ضلع منها بين خمسين وستين سم، مفتوحة على المستوقد، ويخرج منها البخار الكثيف إلى أرجاء غرفة البخار الكبيرة، التي تحوي في جنباتها ستة أجران رخامية قضى عليها التخريب بالكامل، ويصل إليها الماء الدافئ عبر قساطل فخارية، وقد تخرب الكثير من جدرانها وقساطلها وحتى أرضيتها، ولا يزل بها قليل من البلاط الملون ذو الألوان الجميلة من الأبيض والأصفر الذي اشتهر به جبل لبنان، وتمر تحته بعض القساطل المائية الفخارية لتحفظ الحرارة في هذه الغرفة، وعلى جوانب غرفة البخار هذه هناك غرف صغيرة (خلوات) يحوي كل منها جرن ماء واحد، وهي أيضاً خربت بالكامل وهذه الغرف الصغيرة تعرف بغرف الضيوف[90].

شكل رقم (33) جانب من بيت الحرارة في حمام قصر باز.

[89] زيارة ميدانية للموقع، في 2007/1/28م..
[90] زيارة ميدانية للموقع، في 2007/1/28م..

شكل رقم (34) آثار القساطل الفخارية في الجدران في حمام قصر باز.

وكان الحمّام والقصر يُمدّان بثلاثين متر ماء لتغذيتهما مع قصر الأمير فخر الدين المجاور له من نبعة السوق القريبة ومياه الشاطوط - قرب مسجد دير القمر التاريخي[91].

ويقول الأستاذ سمير باز البالغ من العمر الآن ستون عاماً: "إن الحمّام كان لا يزال يستعمل عندما كان عمره سبع سنوات، وكان أحد مستخدميه"، أي حوالي سنة 1954م.، وتجدر الإشارة إلى أن الحمام كان مخصصاً للعائلة وضيوفها، ولا شأن لعامة الناس به، وكان يتم تشغيل الحمّام مرة أو مرتين في الأسبوع، قبل الظهر للنساء والأطفال، وبعد الظهر للرجال[92].

3- حمام قصر بيت الدين:

حمام قصر بيت الدين من الحمامات الخاصة أيضاً، وقام ببنائه مع القصر حاكم جبل لبنان الأمير بشير الشهابي الثاني الكبير (1788- 1840) الذي تولى الإمارة في جبل لبنان بعد انقراض سلالة أقاربه من بني معن، ونقل عاصمة الإمارة من "دير القمر" إلى "بيت الدين" التي تبعد حوالي 5 كلم عن دير القمر، وبنى قصره فيها[93] الذي استمر العمل فيه ثلاثين سنة ونيف وانتهى في تموز 1814م..

ويقع حمام القصر على الطرف الشمالي من دار الحريم العليا والمطابخ، ويعتبر من بين أجمل ما خلفته عمارة تلك الأيام في هذا المضمار، ويتألف من عدد من الغرف تبدأ بالغرفة الباردة فالفاترة فالحارة، ولا يزال هذا الحمام محافظاً على رونقه العام رغم تعاقب الأيام، وظل قيد الاستعمال حتى نهاية عهد الانتداب في أوائل الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي كما أفاد أحد المرشدين السياحيين العاملين في القصر[94].

وباب الحمام من الخشب الأصفر السميك الجميل، ومنه يُدخل مباشرة إلى غرفة المشلح أو غرفة المستراح كما تسمى عند أهل المحلة، وهي غرفة كبيرة تتوسطها بركة ماء كبيرة مثمنة الأضلاع مزدانة بالبلاط الملون الجميل ذو الألوان الزاهية، وعلى بعض زوايا أضلاع هذه البركة أربع صنابير ماء بأشكال جميلة، وحولها من جهة الأرض ثماني كوات، بارتفاع حوالي 60 سم، وعلى جوانبها بلاط مزخرف بأشكال هندسية تنم عن ذوق رفيع، لوضع القباقيب الخشبية للمستحمين أو ما شابه، وحول البركة أيضاً على جوانب الغرفة مصاطب عريضة جميلة مزدانة أيضاً بالبلاط الملون، وفي جدار المصطبة من جهة الباب الخارجي فتحة أرضية مربعة ضلعها حوالي 50 سم تستعمل لتدفئة الغرفة حسب الحاجة وتوقد من الخارج[95].

91 مقابلة مع الأستاذ سمير باز، في 28/1/ 2007م..

92 مقابلة مع الأستاذ سمير باز، في 28/ 1/ 2007م..

93 بيت الدين، نشرة وزارة السياحة، الجمهورية اللبنانية، بيروت – لبنان، ل. ت..

94 زيارة ميدانية للموقع، في 28/ 1/ 2007م..

95 زيارة ميدانية للموقع، في 2007/1/28م..

شكل رقم (35) غرفة المشلح في حمام قصر بيت الدين.

شكل رقم (36) فتحة أرضية تستعمل لتدفأة غرفة المشلح في حمام قصر بيت الدين.

وفي الجهة الشمالية لهذه الغرفة هناك مقصورة تطل على حديقة القصر خاصة بالأمير أو بزوجته، جدرانها مزينة بألواح من خشب الأرز ومزدانة بالنقوش الزخرفية الرائعة الجمال ومنها يطل الأمير أو زوجته على حديقة القصر، وتعلو هذه الغرفة قبة كبيرة جميلة لا تزال رسومها بارزة وواضحة المعالم، وتحتها مباشرة فتحات زجاجية شفافة[96].

شكل رقم (37) مقصورة الأمير بشير الشهابي في غرفة المشلح، في حمام قصر بيت الدين.

[96] زيارة ميدانية للموقع، في 2007/1/28م..

شكل رقم (38) قبة غرفة المشلح في حمام قصر بيت الدين.

وكانت الغرفة الباردة تستخدم كمشلح وكغرفة جلوس يتحدث فيها رواد الحمام بالأمور اليومية أو بشؤون السياسة أو يستمعون إلى بعض المؤلفات الأدبية أو الشعرية[97].

ويفصل هذه الغرفة (المشلح) عن غرفة التدليك رواق مبلط بألوان زاهية ويحوي مغسلة عبارة عن حوض ماء وبيت خلاء، وباب يؤدي إلى حديقة القصر، ويؤدي هذا الرواق إلى غرفة

شكل رقم (39) رواق حمام قصر بيت الدين.

التدليك، حيث تزيد الحرارة فيها عن حرارة غرفة المشلح، وتتوسط هذه الغرفة بركة ماء مثمنة الأضلاع ولكنها أصغر من البركة الموجودة في غرفة المشلح وعليها صنبورا ماء بأشكال جميلة، ومبلطة بالرخام الملون الرائع الجمال، وأرضية الغرفة موزاييك لبناني وإيطالي، وحول البركة أيضاً توجد مصطبتان عريضتان مبلطتان بشرائح البلاط الرخامي المتعدد الألوان، وفي جدارَيْ هاتان المصطبتان فتحتان أرضيتان مربعتان ضلع كل منها حوالي 50 سم تستعملان لتدفئة الغرفة حسب الطلب، وفي جدار الغرفة الغربي توجد مقصورة مجوفة بشكل نصف دائري مزخرفة بزخرفة رائعة من الحجر ومزدانة بألوان جميلة تليق بدار الإمارة وبأُبّهة المُلك، وعن يمينها ويسارها في الجدار نفسه كوتان مجوفتان ومزخرفتان بزخارف حجرية ناعمة تستعمل للإضاءة ليلاً إذا لزم الأمر، أو لأغراض أخرى، والسقف مزدان بقبيبات تتخللها الفتحات الزجاجية ذات الزجاج الأبيض والأصفر والأخضر لإدخال أشعة الشمس التي يعطي نورها انعكاسات وألوان جميلة على الأرض والجدران[98].

[97] بيت الدين، نشرة وزارة السياحة، الجمهورية اللبنانية، بيروت ـ لبنان، ل. ت..

[98] زيارة ميدانية للموقع، في 2007/1/28م..

شكل رقم (40) جانب من غرفة التدليك (الغرفة الوسطى)، في حمام قصر بيت الدين.

والغرفة الفاترة هذه كانت بمثابة المعبر الذي لا بد منه للانتقال إلى الجو الحار أو البارد، وغالباً ما كانت تستعمل للراحة والتدليك[99].

وينتقل الداخل من هذه الغرفة إلى القسم الثالث من الحمام (بيت الحرارة) أو غرفة البخار الواسعة الأرجاء، وعلى جنباتها أربعة أجران كبيرة الحجم من الرخام الأبيض الجميل تصل إليها المياه عبر قساطل فخارية ممتدة داخل الجدران تبدأ من المستوقد وتنتهي بصنابير المياه ذات الأشكال الجميلة من المعدن، وعلى كل جرن طاسة من النحاس يستخدمها المستحم لرفع الماء إليه من الجرن، وعلى جنبات هذه الغرفة الكبيرة عدة غرف جانبية (خلوات) بأحجام أصغر من الغرفة الكبيرة، وهذه الغرف تحوي كل واحدة جرنين من الرخام الأبيض، وتوجد غرفة جانبية واحدة فيها جرن واحد، وتسمى هذه الغرف بـ "غرف الضيوف" من نزلاء الإمارة[100].

وفي صدر جدار الغرفة القِبلي هناك فتحة مربعة تتصل بالمستوقد مباشرة تمد غرفة البخار ببخار الماء المغلي الصادر من المستوقد وهذه الفتحة مربعة الأضلاع كل ضلع يساوي حوالي 60سم، ويروي المرشد السياحي في القصر أنه من شدة البخار لا يستطيع نزلاء الحمام في هذه الغرفة أن يروا بعضهم البعض[101].

شكل رقم (41) جانب من بيت الحرارة في حمام قصر بيت الدين.

وفي غرفة البخار أيضاً قسم خاص بالأمير بشير الشهابي الثاني يحتوي على مغطس خاص به يصعد إليه بدرجتين من الحجر، ثم ينزل إلى المغطس بدرجتين أيضاً من الحجر الصخري البني، وعمق المغطس حوالي متر ونصف تقريباً، صمم على قامة الأمير القصيرة، وقيل: "إن لحيته كانت تطفو على وجه الماء"[102]. وفي نهاية المغطس مصرف للماء يمكن التحكم به عبر سدادة خاصة. وفي هذا القسم أيضاً جرن واحد من الرخام الأبيض وطاسة من النحاس خاصة بالأمير أيضاً. أما بلاط هذا القسم فهو من الصخر البني اللون الحافظ للحرارة[103].

---

99 بيت الدين، نشرة وزارة السياحة، الجمهورية اللبنانية، بيروت – لبنان، ل. ت..

100 زيارة ميدانية للموقع، في 2007/1/28م..

101 مقابلة مع مرشد سياحي في قصر بيت الدين، في 2007/1/28م..

102 مقابلة مع مرشد سياحي في قصر بيت الدين، في 2007/1/28م..

103 زيارة ميدانية للموقع، في 2007/1/28م..

شكل رقم (42) المغطس الخاص بالأمير بشير الشهابي في حمام قصر بيت الدين.

وغرفة الحرارة هذه كانت معدة للاستحمام أو للتعرق في جو البخار الحار، وكان الهواء الحار يجري من تحت أرضيتها المحمولة على أعمدة صغيرة، كما كان يجري في داخل جدرانها عبر قساطل خزفية[104].

وجدران الغرفة مطلية باللون الأبيض والسقف يحتوي على قبيبات ذات فتحات زجاجية بألوان الأبيض والأخضر الفاتح والأصفر[105].

أما المستوقد فيلي غرفة البخار من جهة القِبلة، وله باب يطل على حديقة القصر لإمداد الحمام بالوقود اللازم، وكذلك توقد فتحات التدفئة في غرفة التدليك وغرفة المشلح من الخارج[106].

وهذا الحمام خاص بأهل القصر والحاشية، ويستعمل للنساء فترة قبل الظهر، وللرجال فترة بعد الظهر، ويتم تشغيله مرة أو مرتين أسبوعياً[107].

ومُدت المياه إلى قصر بيت الدين وحمّامه من نبع الصفا بناءً على اقتراح ذكره "أخوت شاناي"، مجنون قرية "شاناي"، إحدى قرى جبل لبنان، للأمير بأن يقيس كل رجل قامته ويحفر الأرض بقدر قامته على طول الطريق الممتدة من نبع الصفا إلى قصر بيت الدين، وعمل الأمير بنصيحة الأخوت وفرض على أهل الجبل ثمانين ألف يوم عمل لجر مياه "نبع الصفا" إلى قصره، فكان على كل رجل أن يقدم يومي عمل مجاني في السنة لتحقيق المشروع، واستغرق شق القناة سنتين من الزمن بأعمال السخرة[108].

حمامات وادي التيم:

حمام السرايا في حلصبيا نموذجاً:

حمام السرايا كما يلقبه العامة، هو حمام يتبع القصر الشهابي (السرايا) في مدينة حاصبيا، ويقع خارجه لجهة الشرق، ويعود بناء القصر إلى سنة 1009هـ. كما ورد في عبارة تزين أعلى المدخل الرئيس جاء فيها: "مما عمل برسم الجناب الكبير الغالي الأمير علي ابن المرحوم الأمير قاسم بن شهاب وذلك في سنة 1009هـ."[109].

والحمام مبني على الطراز الشامي، وهو بشكل قناطر وأقبية، وسقفه مبني على طريقة العقود القديمة، أي من الأحجار والكلس، ويتوسط كل قاعة جرن رخامي، كما أن المياه جُلبت إليه من خارج حاصبيا بواسطة الأقنية الحجرية التي لما تزل ظاهرة إلى اليوم في بعض أقسامها، ولم يبق من الحمام إلا أطلال بعد أن تطاولت إليها يد الهدم وخربتها[110].

حمامات البقاع:

---

104 بيت الدين، نشرة وزارة السياحة، الجمهورية اللبنانية، بيروت – لبنان، ل. ت..

105 زيارة ميدانية للموقع، في 2007/1/28م..

106 زيارة ميدانية للموقع، في 2007/1/28م..

107 مقابلة مع مرشد سياحي في قصر بيت الدين، في 2007/1/28م..

108 مقابلة مع مرشد سياحي في قصر بيت الدين، في 2007/1/28م..

109 غالب سليقة، تاريخ حاصبيا وما إليها، ص 178.

110 غالب سليقة، تاريخ حاصبيا وما إليها، ص 180 (بتصرف).

انتشرت الحمامات العربية في مدن سهل البقاع اللبناني أسوة بكثير من البلدات والمدن اللبنانية، وسيتم الاكتفاء هنا بذكر حمامات بعلبك وعنجر.

أ- حمامات بعلبك:

كان في مدينة بعلبك البقاعية إلى عهد قريب حمامان هما: حمام الخليل، وحمام السوق.

1- حمام الخليل: ويعرف عند الأثريين بالحمام المملوكي نسبة إلى بنائه في زمن المماليك، ويقع في بستان الخان جنوب قلعة بعلبك الشهيرة[111].

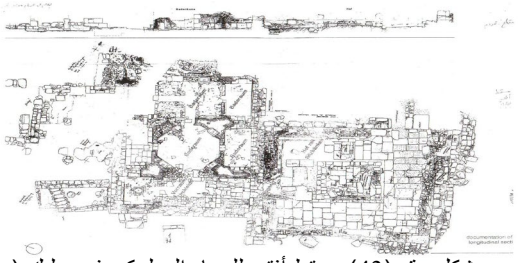

شكل رقم (43) مسقط أفقي للحمام المملوكي في بعلبك (حمام الخليل).

2- حمام السوق: بُني بعد حمام الخليل بزمن، "وكان هذا الحمام في هندسته وجمال بنائه يَبُزُّ كبرى الحمامات في دمشق وغيرها، وقد عُطِّل وهُدم بعد أن انتشرت الحمامات الخاصة في البيوت"[112].

وربما كان هذا الحمام هو الذي ذكره الرحالة النابلسي بقوله: "ثم خرجنا وذهبنا مع حضرة الباشا أعزه الله تعالى، بعد صلاة العشاء الأخيرة، إلى الحمّام، وهو بيت لطيف الهواء والماء، كأن أنابيبه الثغور ذات الابتسام. فتمتعنا فيه بلطائف النعيم، ومن العجايب حصول التنعم بالحميم"[113]

ويبدو أنه كانت تقام في الحمامات في القاعة الأولى (المشلح)، السهرات والأغاني وفي ذلك قيل عن حمام بعلبك:

إن حمّام بعلبكَّ لطيفٌ ... قد دخلناه واحتوتنا الكرامُ

وسمعنا فيه الغِنا، ليت شعري ... أحمَامٌ هناك، أم حمّامُ[114]

ب- حمامات عنجر:

تعود آثار مدينة عنجر في تاريخها إلى العهد الأموي، وتضم بين حناياها آثار حمامين:

الأول: حمام كبير في الحي الشمالي الشرقي، على مقربة من بوابة المدينة الشمالية، وليس ببعيد عن مسجد المدينة الذي يقابل قصراً أموياً يعرف بـ "القصر الصغير". ويعتمد الحمام في تصميمه على النمط التقليدي الشائع، ويتألف من غرفة انتظار تعلوها قبة مرفوعة على أربع دعائم، تليها الغرفة الفاترة فالحارة[115].

---

[111] مقابلة مع المهندس خالد الرفاعي، في 3/3/ 2007م.- وانظر خارطة الحمام المملوكي في بعلبك، أعمال البعثة الأثرية الألمانية والمديرية العامة للآثار، بيروت - لبنان، 2004م..

[112] الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، بعلبك في التاريخ، ص 73، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت - لبنان / دمشق- سوريا، 1404هـ./ 1984م..

[113] عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، ورمضان بن موسى العطيفي، رحلتان إلى لبنان، ص 88، تحقيق صلاح الدين المنجد واسطفان فيلد، نصوص ودراسات سلسلة يصدرها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت – لبنان، 1979م..

[114] عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، ورمضان بن موسى العطيفي، رحلتان إلى لبنان، ص 89.

[115] عنجر، نشرة وزارة السياحة، الجمهورية اللبنانية، بيروت – لبنان، ل. ت..

شكل رقم (44) بقايا آثار حمامات عنجر.

الثاني: حمام صغير في الحي الشمالي الغربي، وليس ببعيد عنه آثار بُنْيَةٍ لم تحدد وظيفتها بعد، وقد تكون أساساً لقصر لم يكن العمل قد انتهى فيه بعد عند تدمير المدينة وهجرها[116].

الخاتمة:

يلاحظ من خلال الدراسة:

1-إن فتحة المستوقد في بناء الحمامات يكون عادة في وسط الجدار القبلي من بيت الحرارة، أي إن إنشائها روعي فيه إتجاه الريح لإشعال الوقود[117].

2-إن ملكية الحمامات ترجع إلى الأعيان إن كانت حمامات خاصة كحمام قصر بيت الدين، أو حمام دير القمر. أما الحمامات العامة في المدن الساحلية فجلها كان أوقاف عامة توقف على المساجد أو المدارس أو أعمال البر الأخرى، ومنها ما كان وقف ذري يصرف ريعه على ذرية الواقف، إضافة إلى اقتطاع جزء من الغلة لصرفها في وجوه الخير.

3-إن العمل في الحمامات قد توقف عند عامة الناس، ولم يبق يعمل به إلا حمام في مدينة طرابلس، وحمام في مدينة صيدا، على سبيل الاستمرار للتراث ليس غير، علماً أن زبائن الحمامات هذه هو من الرجال فقط، ولا يستقبل الآن أي حمام النساء إلا كمجموعة، بناء على موعد سابق.

4-إن كثير من الحمامات قد آل إلى الخراب نتيجة عدم الاهتمام بترميمها، وإن تمّ ترميم بعضها.

5-إن استعمال بعض أبنية الحمامات التي لا تزال موجودة على غير استعمالها، كمخبز، أو لبيع الدواجن، أو مصنع لتجارة الأخشاب، أو مقهى، علماً أنه قد تمّ هدم بعض جدرانها ليلائم الاستعمال الجديد كمدخل لمحل أو ما شابه، ناهيك عن سد بعض فتحاتها بالباطون بعد زوال زجاجها القديم، لعدم تسريب الهواء إلى الداخل.

---

[116] عنجر، نشرة وزارة السياحة، الجمهورية اللبنانية، بيروت – لبنان، ل. ت..

[117] مقابلة مع د. عمر تدمري، في 2007/2/15م..